لبنان

لبنان ـ ذلك الجبل الأبيض ـ ما أعجز لساني وقلمي، بل ما أعجز أي لسان وقلم، عن وصف مفاتنه! كلّما تحسّست سحره أو حدّثت عن جماله ألفيتني أستعين بأفعل التفضيل وصيغة المبالغة. حتى بتّ أخشى أن يتّهمني البعض بذلك النوع من «الهستريا» الذي يلازم في الغالب كلّ موبوء بوباء الوطنيّة الجامحة وعهدي بنفسي أنّني طهّرتها من زمان من جراثيم ذلك الوباء الخبيث. فهي لا تكتفي بلبنان ولا بالأرض موطناً. ولا تقنع بأقلّ من الكون مسرحاً لعواطفها وتأملاتها وأحلامها.

لا... ما أحببت لبنان لأنّه مسقط رأسي ورؤوس أجدادي وأجداد أجدادي. بل لأنّي، وقد طوّفت بعيداً في بلاد الله، ما عرفت بقعة توافرت في تكوينها وفي مركزها من الأرض مظاهر الحسن والروعة والجلال مثلها في لبنان. ناهيك بالفصول تتعاقب فيه بأقصى الدقّة ومنتهَى النظام والاعتدال. فلا الشتاء يجور على الربيع، ولا الربيع يطمع في الصيف، ولا الصيف يأخذ من حصّة الخريف، ولا الخريف يعتدي على ما قسم للشتاء.